

## مفهوم الإلوهية في فلسفة ريتشارد سوين بيرن

د. عماد الدين عبد الرازق<sup>1</sup>

تمهيد:

لقد شغلت قضية الإلوهية الفكر الإنساني قديما وحديثا ولا زالت هذه القضية تشغل ذلك الفكر، ولا تزال الدراسات والبحوث حول هذه القضية على أشدها، نظرا لما يلازمها من تساؤلات حول الوجود ومصير الإنسان. فالتساؤل عن كيفية وجود ونشأة هذا الكون، وعن مبدعه، وهل هناك قوة خفية تسيره؟ وإذا كانت هذه القوة موجودة فما هي طبيعتها؟ وهل نحن قادرون على إدراك ماهيتها وحقيقتها؟ ، ثم ما هو مصير هذا الكون بكل ما فيه؟ أهو إلى فناء أم هو خالد خلود صانعه ومبدعه؟ وما هي الدلائل المادية التي تقودنا للإيمان بوجوده؟ وسوف نجيب على هذه الأسئلة من خلال عرضنا لمفهوم الله عند سوين بيرن ، وصفات الله.

ونستطيع القول أن الفيلسوف ريتشارد سوين بيرن "1934م" يحتل مكانة هامة ورفيعة بين فلاسفة العالم الأوروبي بكونه أحد أهم فلاسفة الدين المعاصرين في إنجلترا في القرن العشرين، وله إسهامات فعالة في مجال فلسفة الدين المسيحي، حيث تعينت إسهاماته الرئيسية في فلسفة اللاهوت، ولعل أكثر إنجازاته الفلسفية هو أهمية الصياغة المحكمة للبراهين التي قدمها على وجود الله، وقد أثبت من خلال مؤلفاته الأدلة الكافية على وجود الله وهي من قبيل وجود الكون، ونظامه، ومن هذا المنطلق قدم "سوين بيرن" من خلال مؤلفاته نظرية كاملة حول مفهوم الإلوهية، وسوف تقدم من خلال بحثنا تصور سوين بيرن لمفهوم الله، وأدلة وجوده، وصفات الله؟ وكذلك مفهوم الإيمان بالله.

---

<sup>1</sup> جمهورية مصر

أولاً: أدلة وجود الله.

### أ) البراهين والحجج الاستقرائية "Inductive Arguments" .

في البداية يرى "سوين بيرن" أن الإيمان بوجود الله يعتبر أسمى الحقائق المنزلة التي يجب أن يتخذها البشر أساساً لهم في حياتهم الدنيوية. ويعرف الحججة أو البرهان " بأنها تبدأ من مقدمة أو أكثر، وهذه المقدمات تكون قضايا يتم التسليم بها، أو نفترضها جدلاً من أجل غرض أو هدف ما". وهدف البرهان أو الحججة هو محاولة التوصل إلى النتيجة، ويشير إلى أن البرهان الإستدلالي الصادق هو الذي من خلاله المقدمات تجعل النتيجة يقينية، بمعنى أن المقدمات تدعم وتعطي قوة للنتيجة، وهذا النوع من البراهين والحجج الاستدلالية توصف بأنها حجج صحيحة<sup>(2)</sup>.

ويشير إلى أنه توجد حجج وبراهين من خلالها المقدمات تجعل النتيجة احتمالية وهذه البراهين تسمى حجج استقرائية "inductive"، ويدعى أن معظم براهين وحجج العلماء القائمة على الملاحظة والتجربة، وكذلك قوانين الطبيعة الصحيحة، والقضايا العملية فيما يتعلق بنتائج التجارب والخبرات المستقبلية تكون حجج وبراهين استقرائية<sup>(3)</sup>.

ويؤكد " سوين بيرن" على حقيقة هامة ومحورية وهي أننا في بحث الحجج والبراهين التي ثبت وجود الله، نحن نكون في حاجة للبحث عما إذا كانت واحدة من تلك الحجج والبراهين تكون صحيحة من الناحية الاستدلالية، أو المقدمة تكون صحيحة من الناحية الاستقرائية، أو النتيجة تكون صادقة استقرائياً.

ولقد قسم "سوين بيرن" الأدلة على وجود الله إلى عدة أدلة منها:-

1- البرهان الكوزمولوجي " الكوني".

2- البرهان أو الدليل الغائي.

(<sup>2</sup>) swine burn: the Existence of god, second Edition, clarendon press, oxford, 2004,p.3.

(<sup>3</sup>) Ibid:p.5.

### 3- البرهان أو الحجّة الأخلاقية.

#### 1- البرهان الكوزمولوجي " الكوني".

هذه البراهين الكوزمولوجي تبدأ في الواقع من شيء محدد وواضح بدرجة كبيرة، أي شيء ما خاص ومميز، وهذا الشيء يتمثل في وجود الكون المادي المركب، ويقصد بعبارة الكون المادي الطبيعي بأنه موضوع مادي فيزيائي يتكون من موضوعات مادية مرتبطة مكانيا ببعضها بعضا، والكون المادي يتكون من كل الموضوعات المادية التي تشمل الأرض والأشياء التي عليها، كما أن هذا الكون المادي نملك معرفة محددة عنه. ويرى أن البرهان " الكوزمولوجي" هو برهان يدل على الكون المادي المركب من أجزاء ، وتتمثل نقطة البداية في هذا البرهان في المظاهر الواضحة للتجربة، ولا يوجد شك في صدق هذه القضايا التي تخبر بها التجربة، ووجود هذا الكون المادي من وجهة نظره يعتبر دليل على وجود الله<sup>(4)</sup>.

#### 2- الدليل الغائي أو البرهان الغائي Teleological Argument

يقصد به " سوين بيرن" أن هناك هدف وغاية تتجه إليها الطبيعة، بمعنى أن نظام الطبيعة يوجد فيه تخطيط وغاية يتجه إليها، وأن الموجودات الواعية تحتاج إلى الله الذي يكون مسئولا عن هذه الظاهرة، ويشير إلى أننا عندما نستخدم كلمة البرهان الغائي، فإننا نؤكل على النموذج العام " أي مثال يحتذي به" ، وإظهار ما في الطبيعة من اتساق وانسجام يدل دلالة واضحة على وجود الله<sup>(5)</sup>.

#### 3- البرهان من الجمال أو حجة الجمال:

يرى "سوين بيرن" أننا إذا نظرنا إلى هذا الكون وما فيه من جمال وإبداع وتناسق، فإننا ندرك أن الله هو الذي خلق وأوجد هذا الكون، يوجد على سبيل المثال جمال في الصخور، الأنهار، والنباتات، الحيوانات، الإنسان، وكذلك يوجد

(4) swine burn: Faith and Reason, oxford,1981,p.6.

(5) swine burn: The Existence of god, p.8.

جمال في دوران المجرات، ولو أن الله خلق هذا الكون وأوجده كصانع ومبدع فإنه سوف يخلق كون جميل، وجمال الكون المادي سواء كان جمال موضوعي، أو جمال ذاتي يتم إدراكه بواسطة الأشخاص ويدل على وجود الله الذي أحدث هذا الجمال في الكون<sup>(6)</sup>.

#### 4- البرهان الأخلاقي.

يشير سوين بيرن إلى أننا يجب أن نميز بدقة بين مجتئين من الأخلاق:  
أولاً:- يوجد برهان وجحة ناشئة عن حقيقة أنه يوجد حقائق أخلاقية.

ثانياً:- يوجد برهان من الوعي الإنسان بهذه الحقائق الأخلاقية.

ويرى أنه لو الموجودات البشرية أحدثت وصنعت اختيارات هامة وذات معنى، فهم بناء على ذلك يمتلكوا مفاهيم عن الغير الأخلاقي والشر الأخلاقي، ويشير إلى أن من أهم السمات المميزة للكائنات البشرية في وجود اعتقادات أخلاقية، والاختيار الأخلاقي يتطلب وعي أخلاقي، والله من وجهة نظره يملك مبرر ليحدث أو يخلق الموجودات الواعية ذات الوعي الأخلاقي، والسبب الجوهري لإعطاء ومنح الإنسان الوعي الأخلاقي هو منحه الاختيار الحر بين الخير والشر، ووجود المخلوقات الواعية التي تملك اختيار أخلاقي دليل على وجود الله<sup>(7)</sup>.

ثانياً: صفات الله

في البداية يشير سوين بيرن إلى أن الله يملك عدداً من الصفات فهو ذات وجود كلي، وذات قدرة كلية لا متناهية، وعلم ومعرفة لا محدودة، وخير مطلق، كما أنه خالق كل الأشياء، ويفسر معنى أن الله ذات وجود كلي فهذا معناه أنه يعرف ويعلم الأحداث والأفعال التي تقع في مكان آخر بدون اعتماد هذه المعرفة

<sup>(6)</sup> swine burn: The Existence of god,p.190.

<sup>(7)</sup> Ibid:p.218.

على أي شيء، ويستطيع الله أن يتحكم في الأفعال الرئيسية، ويسيطر كذلك على جميع شؤون الحياة في كل مكان من هذا الكون، أو أي كون آخر بدون اعتماد. هذه القوة على أي شيء، ونقصد بأن الإله يكون روح كلية الوجود، أن الله يكون بلا جسم، أي شخص غير مستجد، وكل الوجود معناه أيضا أنه يوجد في كل مكان، والوجود الضروري يعد صفة من صفات الله، وهذا معناه أن الله لا يمكن أن يتوقف عن الوجود " لا بد أن يوجد" ووجوده يكون ضروري<sup>(8)</sup>.

كذلك من صفات الله أنه خالق جمع الأشياء الممكنة من الناحية المنطقية والتي توجد بمعزل عن نفسه، وهو يحدثها ويسمح لأشياء أخرى أن تحدث وتقع، فالله هو مصدر وجود وقوة جمع الجواهر، على سبيل المثال هو المسئول عن الوجود الماضي، الحاضر، المستقبلي للموضوعات المادية، وكذلك وجود القوانين الطبيعية التي تخضع لها هذه الموضوعات المادية، وكذلك هو مسؤول عن وجود الأشخاص وقوتهم<sup>(9)</sup>.

ومن صفات الله كذلك أنه يكون ذات حرية تامة مطلقة، بمعنى أنه لا شيء يؤثر بطريقة عليية أو سببية في اختياراته، فاخياراته التي يضعها وكذلك مقاصده وأهدافه وغاياته التي يتمناها تعتمد على ذاته في كل لحظة من لحظات الاختيار، وكذلك يكون الله مصدرا للإلزام الخلق، كما يكون كائن يفعل الفعل الخير أخلاقيا، ولا يفعل الفعل الشرير من الناحية الأخلاقية.

ومن صفاته كذلك أنه يكون ذات قدرة كلية لكنه غير محدودة، بمعنى أنه يستطيع أن يفعل أي شيء يكون ممكنا من الناحية المنطقية. وكذلك من صفاته أنه يكون ذات وجود أبدي سرمدى، أو كائن أبدي سرمدى، وهذا يعني أنه أولا:-

1- وجد دائما      2- ولا يوجد وقت لم يكن موجودا.

(8) swine burn: The Evolution. Of the soul, clarendon press, oxford, 1986,p.150.

(9) swine burn: The Existence of god,p.94.

وعندما نقول أن ماهية الله أبدية سرمدية فإن هذا يعني أن وجوده يكون من النوع الذي إن وجد في أي وقت فهو يوجد في جميع الأوقات، ووجوده يمثل واقعة ممكنة من الناحية المنطقية، ولو افترضنا أنه وجد الآن إذا هو وجد قبل ذلك في الماضي وسوف يوجد في المستقبل، كذلك صفة أنه يكون أبدى سرمدى ولا نهائي تتضمنه أن الله سوف يستمر في الوجود للأبد، ويجب أن نشير إلى أن صفة الأزلية والسرمدية ترتبط بأنه يكون ثابت، أي لا يتغير فالله ثابت لا يتغير، بمعنى لا يتغير في الشخصية والسلوك، و سرمدية الله تفسر ثباته وعدم تغيره<sup>(10)</sup>.

ثالثا: الإيمان.

يشير "سوین بيرن" في البداية إلى أن الكثير من المذاهب الدينية تجرد بإفراط فضيلة الإيمان، وفي التعاليم المسيحية الإيمان يكشف عن نفسه في المسيح، ويتم رؤيته كفضيلة كبرى وسامية وعظيمة، والإنسان يحتاج إلى الإيمان لكي يسير في طريق المسيحية، وبالتالي يصل إلى ملكوت السماء، ويرى أن المكون الأساس، والعنصر الرئيس للإيمان هو الاعتقاد<sup>(11)</sup>.

ويقول "سوین بيرن" أن الشخص الذي يحمل الإيمان هو الشخص الذي يعمل وفقا للإيمان، ويعيش بالإيمان، وي طرح سؤالاً هاماً ما هو الإيمان؟ وما علاقته بالاعتقاد؟ ويجب على ذلك بأن الإيمان يتمثل في الإيمان بإله يقوم بأفعال معينة ومحددة، وبصورة ثانوية ببعض الأفعال التي يملك فعلها، والأشياء الخيرة التي هو يعطيها ويمنحها<sup>(12)</sup>.

ثم يستعرض "سوین بيرن" بعض النظريات في الإيمان ويقوم بنقدها، مثل نظرية "توما الإكويني" في الإيمان، وهذه النظرية يتبناها أيضا ويدافع عنها الكثير من البروتستانت، وتتلخص هذه النظرية عند "الإكويني" في القول بأن الإيمان بالله هو أن تملك اعتقاد، أي أن تعتقد أن الله موجود، فالإيمان هنا يساوى

(10) swine burn: The Existence of god, p.169.

(11) swine burn: Faith and Reason,p.7.

(12) Ibid:p.137.

الاعتقاد في وجود الله، فالشخص الذي يحمل الإيمان هو الذي يملك اقتناع نظري أن الله موجود، ويضيف "الإكوييني" إلى قضية أن الإيمان اعتقاد بوجود الله، وجود اعتقاد في قضايا أخرى معينة، مثل القضايا التي تتعلق بالأفعال التي يقوم بها الله، والإنسان يعتقد في هذه القضايا الأخيرة على أساس أن الله كشف هذه القضايا وأوحى بها، ولقد أشار "الإكوييني" في حديثه عن الإيمان أن موضوعات الإيمان تتجاوز وتتخطى الفهم البشرى، والإنسان يعي هذه المسائل الإيمانية والقضايا الإيمانية لأن الله كشفها له وأوحى بها، وهذا الوحي جاء مباشرة للرسول والأنبياء من عند الله<sup>(13)</sup>.

وينتقد "سوین بيرن" مفهوم الإيمان عند "الإكوييني" بأنه اعتقاد، ويقول أن هذه النظرية ناقصة وغريبة، لأن الدين المسيحي ينظر إلى الإيمان على أنه فضيلة، أنه شيء ما عندما يمتلكه الشخص يستحق المدح والثناء، أو يكون جزائه الخلاص. ثم يعرض "سوین بيرن" وجهة النظر الثانية وهي نظرية الإيمان عن "لوثر" أن الإيمان يتضمن كل من الاعتقادات النظرية وهذا هو الإيمان عند "الإكوييني" والثقة في الإله الحي، ووجهة النظر هذه ترى أن الشخص الذي يحمل الإيمان لا يعتقد فحسب أن الله يكون موجود "يعتقد في قضايا معينة تتعلق به" بل هو يثق ويسلم نفسه إليه، ويؤكد "لوثر" على أن الإيمان هو الثقة "Trust" وهو وحده كاف للخلاص<sup>(14)</sup>.

ويعرض بعد ذلك "سوین بيرن" لوجهة النظر البرجماتية في الإيمان، وهذه النظرية تؤكد على أن الإيمان لا يرتبط بالاعتقاد، بمعنى أنه يمكن أن يوجد إيمان بلا اعتقاد، وطبقا لوجهة النظر هذه أيضا الشخص يملك الإيمان المسيحي لو فعل طبقا للاقتراض أن الله موجود "أو يوجد إله"، والبرجماتي يعبد الله ليس بالضرورة

---

(13) عبد الرحمن بدوى: فلسفة العصور الوسطى، وكالة المطبوعات، الكويت،

ط 1979، 3، ص 52.

(14) swine burn: Faith and Reason, p.14.

لأنه يعتقد أن الله موجود ويستحق العبادة، لكن لأنه من المهم أن نعبر عن اعترافنا بالجميل.

ويشير "وليم جيمس" إلى أن الإيمان يكون مسألة للفعل مثلما تكون بعض الفروض صحيحة، فالإيمان عنده هو شئ عقلي نفعله عندما نواجه بعض الاختيارات الهامة، ويحلل ويفند "سوين بيرن" هذه النظرية البرجماتية بقوله أن الشخص من وجهة النظر البرجماتية في الإيمان لا يحتاج إلى الاعتقاد أن الله موجود، هو يحتاج فقط إلى ما يسمى بالاعتقاد الأضعف أو الأدنى في احتمالية أنه سوف يحقق الأهداف التي يسعى إليها بواسطة فعل معين<sup>(15)</sup>.

ثم يعرض بعد ذلك "سوين بيرن" للإيمان في الفكر المسيحي القديم، ويبدأ بالإيمان عند القديس "بوليس"، ويرى أن الاستجابة لوعظ القديس "بولس" من جانب مستودعيه كانت تمثل في التوبة، والتعميد "التطهر الروحي"، وكانت الاستجابة المطلوبة قبل التعميد هي الاعتقاد في السيد المسيح، فالاعتقاد المتضمن هنا ربما يكون اعتقاد تصديقي أو الثقة في الله، وكذلك الموعظة الطويلة عن الإيمان في خطابه إلى العبرانيين تنظر إلى الإيمان كاعتقاد في هذا أو ذاك، وعلى الجانب الأول ترى أنه من يقترب من الله يجب أن يعتقد أنه يوجد، ويكافئ ويجازى من يسعى إليه ويلتمس سبيله، لكن على الجانب الآخر الإيمان يكون توكيد الأشياء التي تأمل ونرغب فيها، والثقة في هذه الأشياء، ولقد وصف القديس "بولس" إبراهيم باعتباره نموذجاً للشخص المؤمن، وإيمانه يمثل الرجاء والأمل، ويرى بولس أننا نسير بالإيمان وليس بالبصر<sup>(16)</sup>.

ولقد تحدث عن الإيمان اثنين من أشهر اللاهوتيين المسيحيين

(أ) "كليمنت" (ب) "سيرل جير سليم"

(15) swine burn: Faith and Reason,p.148.

(16) swine burn: coherence of Theism,oxford,1977,p.213.

يرى "كليمنت" أن الإيمان يكون اقتناع راسخ وجازم بالكتب الإلهية مع حكم ثابت وقوى، يستقبل صوت الله الذي وهبه الكتاب المقدس، ويقول "سيرل" أن الإيمان هو الرجاء والأمل والثقة التي يضعها الشخص في الأشياء التي لا تكون يقينية.

أما "ايلارد" فقد وصف الإيمان بأنه تقييم وتقدير الأشياء غير المرئية. أما "برنارد" فوصف الإيمان بأنه ليس تقدير لكنه اليقين، ولو كان الإيمان شيء مترددا ومتقلبا، فالأمل والرجاء سوف يصبح فارغا وعقيما<sup>(17)</sup>.

ويستخلص "سوین بيرن" من دراسته لأنواع الإيمان السابقة أنها كلها تتضمن مواقف تجاه "السلوك" في ضوء القضايا، بمعنى أننا نتحدث عن الاعتقاد في الله، والثقة في الله بدون فقدان المعنى، ثم يستعرض "سوین بيرن" في النهاية مفهوم الإيمان في القرن العشرين بالنسبة للاهوت البروتستانتي، والذي يمثله "جون هايك"، والذي يرى أن الإيمان إدراك اختياري وإرادي، ومعرفة اختيارية إرادية لفاعلية أو فعل الله في التاريخ الإنساني، ويتضمن تفسير الأحداث بطريقة ووسيلة خاصة، والشخص المؤمن يرى العالم على أنه مخلوق الله<sup>(18)</sup>.

وخلاصة رأى "سوین بيرن" أن وجهات النظر السابقة في الإيمان كلها يحتاجها المسيحي لأنها تمثل الاعتقاد، والثقة واليقين، وهي عناصر ضرورية للإيمان، ولا غنى للإيمان عنها.

---

(17) swine burn: Faith and Reason,p.154.

(18) Ibid:p.155.